

لا يجوز لنا تجاهله. أما جملة النقد الناضج فقد كانت فعلاً بين الحريين العالميتين. والحد الرابع أن هذا البحث قد اقتصر على النقد الإنجليزي، وليس معنى ذلك أنه النقد الوحيد الذي عرفه الأدباء في مصر وتأثروا به. فالتقاد السوريون المتمصرون أمثال نجيب الحداد (١٨٦٧ - ١٨٩٩) وقسطاكي الحمصي (١٨٥٨ - ١٩٤٦) والنقاد المصريون أمثال حسين المرصفي ود. محمد حسين هيكل (١٨٨٨ - ١٩٥٦) ود. طه حسين عرفوا الفرنسية، وأتقنها بعضهم، وقرءوا أديها. وظهر أثر هذه القراءة فيما كتبوا، مثل المقارنة التي عقدها نجيب الحداد بين الشعر العربي والغربي، وانصب معظمها على الشعر الفرنسي. وصرح بعضهم بالتأثر في غير استحياء بل في زهو، مثل قول قسطاكي الحمصي في مقدمة كتابه «منهل الورد في علم الانتقاد»: «وإني لم أزل منذ ستة عشر عاماً أتتبع سير هذا الفن الجليل، مكباً على مطالعة كتب أئمته من الفرنسيين أصحاب الباع الطويل، حتى صار ذلك هوى النفس لا تنزع إلا إليه، وشاغل الطرف لا يجب أن يقع إلا عليه... على أنه لا بد لي من أن أقص على القارئ ما دهاني من الحيرة والاضطراب، عند أخذى القلم لتأليف هذا الكتاب، إذ كل ما كنت اطلعت عليه من كتب هذا الفن في اللغة الفرنسية، لا ينطبق على ما عقدت على تأليفه النية، إلا من وجه خفي إجمالي، وطرف ذهني خيالي، فإن جميع ماقرأته لجهاذة هذا الفن المشهورين مثل سنت بوف Sainte Beuve ورينان تين Renan Taine وفردينان بروتتيير F.Brunetière وإميل فاجيه E. Faguet وجول لوميتر Jules Lemaitre وأدولف بريسون A. Brisson وغيرهم من المعاصرين لا يتعدى نقد مؤلفات ومصنوعات ومؤلفين ومتمننين. وكتبت إلى بعض الأصحاب الأفاضل في عاصمة الفرنسيين أن يتحفوني بأجل مؤلف في قواعد هذا العلم النفيس، رغبة في ترجمة القواعد التي هي الغرض الخطير، واتخاذها لي هادياً في هذا المطلب العسير... وجل ما كتبت من تاريخ النقد عند سائر الأمم في الفصلين الثاني والثالث وبعض الرابع استفدته من كتاب موسوعات العلوم الكبيرة الفرنسية، فهي حجة بلا منازع»<sup>(١)</sup>. وكل هؤلاء النقاد الذين ذكرهم فرنسيون.

ويمكن القول أن النقد المصري تأثر بالنقد الفرنسي أولاً، ثم اتصل بالنقد الإنجليزي وتأثر به مع ظهور الرومانسيين. ولا يعني ذلك أن النقد المصري لم يتأثر بغير هذين التقدين، بل صرح النقاد المصريون أنفسهم أنهم عرفوا شيئاً ما من النقد الألماني والروسي وغيرهما، غير أنهم لم يعرفوه مباشرة، وإنما بواسطة اللغتين اللتين عرفوهما، والإنجليزية خاصة، كما يتبين من

(١) منهل الورد في علم الانتقاد ٣/١.